أشباح من ليالي الحاكمية - ب -

صعود كمد

ومن المفارقات الغريبة التي تحدث بلا تفسير واضح ان اخراج الملك فاروق من مصر كان محفوفاً بالمراسيم حتى ان محمد نجيب أخذ له التحية و هو يغادر شاطئ مصر الى اوروبا وان سفير امريكا كان حاضرا ساعة رحيله - على عين كان استقبال ثورة يوليه لزعيم الوفد من حيث النتيجة ، باتجاه معاكس تماماً وكان الوفد و زعيمه ساعة قيام الثورة موضع سخط الملك وقهره وقد خرج من الحكم الذي حازه نتيجة انتخابات حرة في أوائل الخمسينات بمؤامرة مدبرة من خصوم الديمقراطية الوفدية فيما سمي حريق القاهرة سنة ١٩٥١ وكان الوفد نشطا في محاولة اخراج الجيش المصري الانجليزي من منطقة القنال على قد الطاقة والامكان وهو مطلب حققه جمال عبدالناصر فيما بعد ببسالة ملحوظة فلربما كان تمسك الوفد بوحدة مصر والسودان سببا مانعا من حصول تقارب بينه وبين الانجليز حول موضوع خروج الانجليز من مصر.

اشياء كثيرة حدثت في الفترة المطوية ضمن ملفات ليالي الحاكمية بعضها مفسر ومبرر مثل شراء مصر السلاح من تشيكوسلوفاكيا وبعضها مفسر وغير مبرر مثل تنكر الثورة للوفد واستنادها الى جماعات لم تكن قط توضع في كفة ميزان واحد مع الوفد ومنها عشرات صلاح سالم و وضع ثقله كله في عملية أخراج مئزرة احدى الاميرات من المجوهرات والأحجار الكريمة الى خارج مصر لقاء لذات عابرة تكشف عن جوع النفس باكثر ما تكشف عن جوع الجنس وقد قرأنا في مذكرات عبداللطيف البغدادي - على ما اتذكر - كيف ان صلاح هذا انهار تماماً في العدوان الثلاثي وانه لما سمع انفجار القنابل في القصف الجوي الذي نفذته الطيران الانجليزي على القاهرة في اوائل العدوان ركبه الجزع الشديد و طلب الى زملائه من ضباط الثورة الاجراء الى السفارة الأمريكية لعلها تنقذهم من الاعدام ولكن ارشيد جمال أصر على مواصلة القتال حتى الموت - والواقع هو أن تأييم القنال الذي كان المحرك على العدوان الثلاثي أو ذريعته الاساسية لم يكن خاليا من عنصر المغامرة فهو مفسر ومبرر من منظور متطلبات (الموقف الناشئ) ومن منظور الأهداف الوطنية النهائية ولكن لم يكن تعلق نجاحه بصدور الانذار السوفيتي مبرراً بحال من الأحوال فقد كان من الممكن الا يصدر الانذار اذا ما نفذت أمريكا في صدوره فالمصالح القومية والمصيرية امانة تاريخية في اعناق الملتزمين بها أكبر وأفظ كثيرا وكثيرا جدا من ان تكون موضع مخاطرة ذات احتمالات للاثر أو عرضة للمزاج و الامعان الشخصي - ولقد شهدنا ان تأييم القنال تعطل هو و سيناء وهدف القنال و مناطق مناخمة لها في حرب حزيران ١٩٦٧ وبقي العطل مستمرا حتى سنوات عديدة ريثما تمت استعادة سيناء على النحو المعروف في اتفاقيات كامب ديفيد.

لقد رأينا صورة مصر مغلول من رجال الوفد ولم نر صورة مصطفى النحاس وتلك صفاقة مفهومة من موقف ثورة مصر ولا يساوى فيها المؤلف ولكنا لم نر صورة للسادات ولا سمعنا له ذكرا فى عبور القنال سنة ١٩٧٢ وكان حرنا تغمر بالفخر والفرحة فى مصر كلها حتى أن زينهم السماحى لم يستطع احتمال لذاذة فمات فيه فرحا. ها هنا شئ من صنع المؤلف ساير فيه ميله الشخصى أو ميل مدرسة فكرية معينة فابتعد به عن حقائق التاريخ وجريان الأحداث بشكل صارخ لم أجد له تبريرا بل لم أجد له تفسيرا يصح اتخاذه مقتاما لتصرف مثقف كبير من وزن مؤلف الملل: رأينا صورة جمال عبدالناصر فى مناسبة عبور القنال وهو الذى عالجته الظروف أو فانه حسن قراءة الواقع فخرج حرب حزيران ١٩٦٧ ومعها القنال وسيناء كلها. و افتقدنا ذكر السادات الذى نفذ معركة العبور ثم استعاد بعدها سيناء بلا قطرة دم، وانا لنعلم علم اليقين عن طريق القياس السليم والمنطق السوى ودلالات الاحداث انه لم يكن ممكنا عبور القنال و استعادة سيناء خلال الفترة الزمنية الفاصلة بين حرب حزيران ١٩٦٧ وبيوسا هذا الا بالأسلوب الذى اتبعه السادات [فيما عدا زيارته للقدس] فلقد شهدنا كيف ان استعادة طابا وهى قطعة ارض دون الكيلومتر المربع الواحد استغرقت جهودا على مدى سنوات وسنوات ولقاء مبلغ لا يستهان به من المال وفى بعد كل عن خرض الذات و اذلال العدو. ان الدنيا تعلم وبضمنها إسرائيل ان مصر أقدر على مناز لتها بعد استعادة سيناء منها وهى على شارف القنال وان التحلل من نصوص الصلح أسهل من اثارة حرب لم تتكن لها اسباب وثارات قديمة وان مصر بعد حرب رمضان ليست أقل اقداما من شقيقاتها لاسرائيل فاذا كان تحلل الفدائيين الى اسرائيل من غير طريق البحر و صدور جنوب لبنان أمرا محظورا فقد تسادت فى ذلك مصر مع سوريا وغير سوريا من الدول المحيطة باسرائيل.. نعلم ذلك وغيره مما يفرض على مسلسلات مثل ليالى الحلمية مسئولة امام تفسيرها اولا و امام التاريخ ثانيا وامام مصرنا لنا أن نعرض عليها، فى اقل تقدير، قسطا من الصراحة والأمانة تستلزمه اصول الفنون فى عدم ترك الفراغات فى اللوحة المرئية او المحكية أو المجسمة وحتى المعزوفة.. ولكن يبدو ان شيوع الافتتان بالتغزل فى التظاهر المرضى والترفع المتباطل على عمالقة الحقائق المرة والوقائع المخشوشنة على نطاق العالم الثالث قد اصبح ضغثا من طقوس الادب السياسى وفى السياسة نفسها حتى صار تركه مستدعيا لانهيار بنيانات هائلة مصنوعة من ألوان قوس القزح وخيوط الوهم وقوارير التفاخر الذى لا يستند الى أساس - للحديث بقية